رسائل بغداد التحذيرية إلى واشنطن و«تل أبيب»

عادل الجبوري
موقع العهد الإخباري

التصريحات التي أطلقها كلّ من الأمين العام لحركة عصائب أهل الحق في العراق، الشيخ قيس الخزعلي، والأمين العام لكتائب سيد الشهداء، أبو آلاء الولائي، بشأن التهديدات الصهيونية بشن حرب على لبنان وحزب الله، كانت بمثابة رسائل واضحة وقوية وبليغة موجهة إلى الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني، تؤشر إلى التبعات والآثار والانعكاسات الخطيرة التي يمكن أن تترتب على أي خطوات متهورة من قِبَلِهما، وتجدد وتؤكد الموقف العراقي فيما لو ذهبت الأمور إلى التصعيد والتأزيم.

وكان مما قاله الشيخ الخزعلي: "إن هناك تسريبات تفيد بنيّة الكيان "الإسرائيلي" الغاصب توسيع عملياته بالهجوم على لبنان الحبيب وعلى المجاهدين في حزب الله. وفي حال استمرار الولايات المتحدة الأميركية في دعمها لهذا الكيان الغاصب وهاجمت لبنان وهاجمت حزب الله، فلتعلم أميركا أنها جعلت كلّ مصالحها في المنطقة والعراق محل استهداف ومحل خطر".

أما الولائي فقد كتب قائلًا: "إن المانع الجغرافي الذي فرض على المقاومة الإسلامية في العراق أن تشارك في معركة طوفان الأقصى بدكّ معاقل العدوّ الصهيوني من مسافة تفوق الثمانمائة كيلومتر، سيزول في حال أقدم الكيان الصهيوني على حماقة شن حرب على لبنان، وسيكون القتال حينها من مسافة صفر".

في الواقع، لعله من الخطأ التعاطي مع تلك التصريحات، على أن الهدف منها لا يتعدى الاستهلاك السياسي والإعلامي فقط، لأن مجمل المبادرات والمواقف العراقية بخصوص معركة "طوفان الأقصى"، تجاوزت الأقوال لتترجم إلى أفعال، سواء ما يتعلق منها بالجوانب الإنسانية في دعم وإسناد أبناء الشعب الفلسطيني المنكوب في قطاع غزّة، أو ما يتعلق منها بالجوانب العسكرية المتمثلة في عشرات الهجمات التي شنتها المقاومة الإسلامية العراقية ضدّ المنشآت والمواقع العسكرية والاقتصادية الحيوية للكيان الصهيوني في عمق الأراضي المحتلة على امتداد ثمانية شهور، بالتنسيق والتعاون مع حركة أنصار الله اليمنية والمقاومة اللبنانية.

والسبب الآخر الذي لا يبرر النظر إلى تلك التصريحات والتعاطي معها باعتبارها كلامًا ليس إلا، هو أن حركة عصائب أهل الحق وكتائب سيد الشهداء، يعدان من فصائل وحركات محور المقاومة في المنطقة، وأنهما سجلا حضورًا فاعلًا ومؤثرًا في محاربة تنظيم داعش الإرهابي، ليس في العراق فحسب، وإنما في سورية أيضًا، وأن مجمل تحركاتهما تجري بالتنسيق مع بقية أطراف محور المقاومة. والأكثر من ذلك، أن لديهما تواصلًا وتعاونًا وتنسيقًا عالي المستوى مع حزب الله اللبناني وقوى المقاومة الفلسطينية الفاعلة في الميدان.

والأمر الآخر، يتمثل في أن كلا الكيانين -العصائب والكتائب- معروف عنهما تبنيهما مواقف واضحة جدًّا من الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأميركية، تجلت وانعكست تلك المواقف في معركة "طوفان الأقصى"، وقبلها في ما يتعلق بالوجود العسكري -وحتّى غير العسكري- الأميركي في العراق، علمًا أن الإدارة الأميركية أدرجتهما في أوقات سابقة في القوائم السوداء التي تستهدف كلّ القوى المناهضة والرافضة لسياساتها وتوجهاتها العدوانية.

وتحظى تصريحات الخزعلي والولائي بأهمية ودلالة أكبر، حينما تكون منسجمة ومعززة لمواقف قوى وشخصيات أخرى في محور المقاومة، لتؤكد وتنبه إلى حقيقة أن خيار العدوان على حزب الله ولبنان سيكون محفوفا بالكثير من المخاطر والتبعات الكارثية على الكيان الصهيوني وكلّ الأطراف الدولية والإقليمية الداعمة والمساندة له، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية. ولعل هذا ما دفع الأخيرة إلى التأكيد على رفضها أي تصعيد على الجبهة اللبنانية، وعدم تبنيها مثل ذلك الخيار، لا حرصًا منها على السلام في المنطقة، وإنما خشية من العواقب الكارثية المحتملة عليها.

وقبل أيام قلائل، صرح وزير الدفاع الأميركي لويد اوستن، "أن الدبلوماسية هي أفضل وسيلة للحيلولة دون مزيد من التصعيد. لذلك نحن نسعى بشكل عاجل للتوصل إلى اتفاق دبلوماسي يعيد الهدوء الدائم إلى الحدود الشمالية لـ"إسرائيل" ويمكّن المدنيين من العودة بأمان إلى منازلهم على جانبي الحدود "الإسرائيلية" اللبنانية".

بالإضافة إلى أوستن، أطلق مسؤولون أميركيون كبار تصريحات بنفس المعنى، رغم التأكيد على أن واشنطن ثابتة في مواقفها الداعمة لـ"تل أبيب".

ومثل هذه التصريحات، تعكس حجم وطبيعة مخاوف وهواجس صنّاع القرار السياسي الأميركي، في ظل التحشيد الواسع والكبير الداعم لحزب الله من قبَل قوى محور المقاومة، لا سيما العراقية منها.

ولعل مخاوف وهواجس ورعب صناع القرار في "تل أبيب"، تفوق مخاوف وهواجس نظرائهم الأميركيين، لأن الرأي العام في الكيان الصهيوني لم يعد قادرًا على تحمل واستيعاب المزيد من الانكسارات والخسائر والضغوطات بعد تجربة الحرب الحالية المستمرة مع المقاومة الفلسطينية.

وفي ذلك، يقول الرئيس السابق لشعبة العمليات في جيش الكيان الصهيوني، يسرائيل زيف: "إن الدخول في حرب موسعة مع لبنان في حال حدوثها سيأتي في أسوأ وقت ممكن لـ"إسرائيل"، حيث إنها ستشمل الجبهة الداخلية "الإسرائيلية" بأكملها.. ولاينبغي لـ"إسرائيل" أن تدخل في حرب لا تعرف حتّى تحديد هدفها".

وفي سياق مقارب، يحذر اللواء المتقاعد في جيش الاحتلال، اسحاق بريك، من "أن إعلان "إسرائيل" الحرب على لبنان سيعني الانتحار الجماعي بقيادة نتنياهو وغالانت وهاليفي، وإن تبعات مثل تلك الحرب ستكون أكثر خطورة مما حدث في الماضي". بينما يرى الرئيس السابق لجهاز الأمن الداخلي "الشاباك" في الكيان الصهيوني، يوفال ديسكين، "أن بنيامين نتانياهو يقود "إسرائيل" إلى أزمة متعددة الأبعاد".

وكلّ ذلك القلق والرعب والفزع، ينطلق من حقائق الواقع ومعطياته الواضحة، التي أسس لها حزب الله، وعززتها قوى محور المقاومة، ووضحتها بقدر أكبر مخرجات معركة "طوفان الأقصى" بكلّ أبعادها وجوانبها ومساحاتها الميدانية، في البر والبحر والجو، التي كان العراق بشعبه وقواه السياسية وفصائله المقاومة جزءًا وطرفًا محوريًّا وفاعلًا فيها.

القلق والرعب والفزع الذي ينتاب الكيان الصهيوني، ينطلق من حقائق الواقع ومعطياته الواضحة، التي أسس لها حزب الله، وعززتها قوى محور المقاومة، ووضحتها بقدر أكبر مخرجات معركة «طوفان الأقصى» بكلّ أبعادها وجوانبها ومساحاتها الميدانية، في البر والبحر والجو

«العملية البرية» جنوب لبنان.. تورّط في استنزاف مفتوح أم تدحرجٌ نحو حرب كبرى؟

علي حيدر
كاتب ومحلل سياسي

مع اقتراب انتقال الحرب الصهيونية على غزّة إلى المرحلة الثالثة، ارتفع منسوب تهويل الكيان المحتل بخيارات عدوانية متعددة تجاه لبنان ، ومن ضمنها شنّ عملية برية محدودة في جنوب الليطاني. مع ذلك، لا يجري التداول بهذا السيناريو كونه المفضل أو له الأولوية؛ وإنّما الخيار المعتمد في هذه المرحلة هو العمل على استنفاد الخيار السياسي على أمل التوصل من خلاله إلى اتفاق. وإذا لم تنجح هذه المساعي؛ عندها يجري الانتقال إلى الخيارات البديلة، ومن ضمنها العملية البرية المحدودة، بحسب سيناريو العدو الصهيوني.

الدوافع

- التحولات المفاهيمية التي استجدت في أعقاب "طوفان الأقصى" على الفكر الاستراتيجي الصهيوني، في التعامل مع المخاطر المتموضعة على حدود الكيان. وبموجب ذلك، ينبغي على جيش العدوّ إزالة أي وجود لقوى معادية قريبة من الحدود يمكن لها أن تفاجئ "إسرائيل" بخيار شنّ هجوم مشابه لـ"طوفان الأقصى".

- فشل جيش العدوّ في تحقيق الأهداف المؤملة، خلال نحو تسعة أشهر من الحرب. فلا هو استطاع تفكيك العلاقة بين جبهة لبنان وغزّة، ولا نجح في ردع حزب الله عن مواصلة العمليات، ولا استطاع فرض معادلة تمنح العدوّ هامشًا أوسع من المبادرة والرد.

- ضغط جمهور الكيان الغاصب المتواصل من أجل إبعاد خطر حزب الله عن الحدود، وتأكيد النازحين من المستوطنات على عدم العودة ما داموا لا يشعرون بالأمن والامان، وذلك لا يتحقق عبر تسويات وإنما عبر ضربة عسكرية تعيد إنتاج الواقع القائم على حدود لبنان.

- إدراك قيادة العدوّ الحاجة الملحّة إلى ترميم قوة الردع التي تهشمت على وقع المعارك المستمرة منذ الثامن من تشرين الأول الماضي.

- اقتراب الانتقال إلى المرحلة الثالثة في قطاع غزّة التي وصفها رئيس وزراء العدوّ بأنها سياسة "جز العشب". ويعني ذلك، أن "إسرائيل" أصبح بإمكانها نقل جزء أساسي من التركيز السياسي والعملياتي باتّجاه حدود لبنان.

مخاطر وقيود

مع ذلك، يواجه هذا الخيار مجموعة من المخاطر والقيود التي انعكست في معارضة عدد من قادة الجيش والخبراء والمعلقين العسكريين، له. ومن أبرزها:

- الأثمان التي يمكن أن يدفعها جيش العدوّ بعدما اتضح حجم التطور الذي يملكه حزب الله في مواجهة القوات البرية والمدرعات؛ حيث تبحث مسيراته وصواريخه المزودة بالكاميرات عن نقاط تمركزها داخل مناطق الجليل لاستهدافها.. فكيف إذا ما أرادت التوغل بريًا في الأراضي اللبنانية؟!

- احتمال أن يتجاوز ردّ حزب الله على هذا التوغل البري قواعد الاشتباك السائدة. ولا يوجد ما يضمن أن يتعامل حزب الله مع العملية البرية على أنها هجوم محدود. وفي هذه الحال؛ من المرجح أن تتدحرج العملية المحدودة نحو معركة كبرى على خلاف تقديرات ورهانات العدو. ومن هناك سيكون من السهل التدحرج نحو حرب إقليمية.

- بالموازاة، يوجد العديد من تقارير العدو "الإسرائيلي" التي تؤكد بأن الجيش غير مستعد لمعركة بهذا الحجم، وما يؤكد هذا التصور كونها تأتي بعد تسعة أشهر من المعارك المتواصلة. وبعدما ثبتت محدودية قوة جيش العدوّ بمنسوب أقل بكثير مما كان يفترضه كثيرون. يُضاف إلى ما تقدم العديد من التقديرات التي تحذر من أن أي حرب كبرى ستُلحق دمارًا هائلًا بالبنى التحتية والصناعية الإسرائيلية. وهذا ما حذر منه أيضًا وزير الحرب الأميركي لويد اوستن.

في الخلاصة، من الواضح أن التلويح بالعملية البرية المحدودة أتى بديلًا عن بدائل أخرى، وفي محاولة تجنب أشدها خطورة وتحديدًا الحرب الشاملة. خاصة بعد فشل سياسة الاستهداف الموضعي والضربات الجوية التي فشلت أيضًا في تدمير منشآت استراتيجية موجودة على مسافة غير بعيدة من الحدود، كما أكدت صحيفة "يديعوت احرونوت".

مع ذلك، يبقى أن من ضمن السيناريوهات التي يخشاها قادة العدوّ أيضًا، ما حذر منه عدد من كبار ضباط الجيش بأن سيناريو العملية البرية قد يؤدي إلى التورط في حرب استنزاف مفتوحة ستؤدي في النهاية إلى تعميق هزيمتها ومُفاقمة مأزقها.

التحليل الإخباري

وداعًا «إيزنهاور».. أهلًا بـ«ثيودور» إلى الساحة الأكثر اشتعالا

اسماعيل المحاقري
كاتب ومحلل سياسي

أيًا تكن الأسباب التي قدّمتها القوات الأميركية لتسويغ انسحاب حاملة طائراتها "ايزنهاور" من البحر الأحمر، فالنتيجة واحدة. وهي عجز في التصدي للعمليات اليمنية، وفشل في حماية الملاحة الإسرائيلية. ومهما تكن خصائص المجموعة الهجومية البديلة لحاملة الطائرات "يو إس إس ثيودور"، فلن تشكّل فارقًا أو تغيرًا من الواقع في شيء، فاليمن بإمكاناته البسيطة وإنجازاته المتراكمة يتغلّب على أكبر تحالفين بحريين "حارس الازدهار" بقيادة الولايات المتحدة والقوّة البحرية التابعة للاتحاد الأوروبي "أسبيدس" في مهمتهما المشتركة والمعلنة.

من خلال تقييم معطيات ومسار المعركة البحرية، انسحاب "ايزنهاور" تزامن مع تصعيد اليمن لعملياته البحرية، وبشكل مختلف عن المراحل السابقة لناحية الفاعلية والتأثير وإدخال أسلحة جديدة، مثل الزوارق المتفجرة والصاروخ الباليستي "حاطم ٢" الفرط صوتي، ومع ذلك جرى سحب الحاملة الأميركية حتّى قبل وصول البديل عنها إلى ساحة الاشتباك المشتعلة.

"معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى" لفت، في تقرير له، إلى هذه المسألة. ورأى أنّ غياب المدمرات الأميركية عن البحر الأحمر، من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، إشارة مثيرة للقلق، والمعني هنا شركات الملاحة التجارية وشركاء البيت الأبيض من الدول الداعمة لاستمرارية حرب الإبادة في غزّة.

وبعد انسحابها من المنطقة، أقر طاقم المدمرة الأميركية "يو اس اس كارني"، كما سابقوه، بالقدرات الصاروخية اليمنية المتطورة، والتي شكّلت تهديدًا حقيقيًا للتواجد الأميركي. وقال قائد المدمرة جيريمي روبرتسون، في مقابلة مع شبكة "سي بي إس نيوز" الأميركية، إنّ ما رأوه من قدرات يمنية لم يكن متوقعًا، وأضاف أنّ أولى عملياتهم كانت دفاعًا عن "إسرائيل" من خلال التصدي لعشرات المسيّرات وصواريخ كروز التي أطلقت من اليمن باتّجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتابع أن أكثر ما كان يقلق القوات الأميركية هي الصواريخ الباليستية الفرط صوتية، والتي شكّلت ميدان الاختبار الحقيقي الأول للبحرية الأميركية ضدّ هذا النوع من الأسلحة لسرعتها الكبيرة.

ووفقًا للعديد من ضباط البحرية الأميركية؛ فإنّ الردود على العمليات اليمنية كانت تقتصر على تتبع الأهداف ومواجهتها، والتي جاءت ضمن نطاق المدمرات المحدود. وعن الخسائر الباهظة، فالبحرية الأميركية كانت تعترض طائرة مسيّرة بقيمة ألف دولار بصاروخ يتجاوز قيمته مليون دولار.

وعلى مسافة أسبوع من دخول العدوان الصهيوني على غزّة شهره العاشر واقتراب العمليات اليمنية المساندة لغزّة من دخول شهرها الثامن، ما يزال ميناء "إيلات" مغلقًا وطريق الشحن المؤدّي إليه غير سالك. الأمر الذي دفع المدير التنفيذي للميناء للمطالبة أمام "الكنيست" بأن يضع الكيان يده في جيبه ليقدم مساعدات مالية لعمال الميناء.

احتدام المعارك البحرية، يزيد من المأزق الصهيوني وينهي حقبة من الغطرسة الأميركية، ويبشّر بميلاد قوة صاعدة ممثلة باليمن ومحور الجهاد والمقاومة لتغيير المعادلات الإقليمية وفرض التوازنات العسكرية.